Journal Of the Iraqia University 64-2(31-12) December(2023)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.iasj.net/iasj/issue/2776

أثر التنغيم في دلالة الخطاب

م. م. رقية عبدالرحمن مخلف جامعة الانبار كلية الإدارة والاقتصاد

م. م. نادية سعدي صالح جامعة الانبار وحدة تمكين المرأة

The effect of intonation on the meaning of speech

Ruqaya AbdulRahman Mikhlif
Anbar University
Ruqaya.a.m@uonbar.edu.iq
nadia.saadi@uoanbar.edu.iq

10.58564/MABDAA.62.2.2023.449

ملخص:

يبين هذا البحث اثر العامل الصوتي المتمثل بالتنغيم intonation، ودوره في دلالة الخطاب المنطوق، فالتركيز على هذا الجانب مهم؛ لأن التعابير عن المعاني لا بُدّ ان يصحبه تغيير في الصوت، وكل هذا يفرضه السياق ورغبة المخاطب في فهم دلالة الخطاب للمتلقي، فقدره المتكلم تبدو كبيرة وهو يستعين بهذا الوسيلة التطريزية في ابراز دلالة الخطاب، ويمكّن المتكلم من اثبات قدرته على تجسيد حيوية اللغة. الكلمات المفتاحية: (التنغيم – الخطاب المتكلم – المخاطب – السياق)

مقدمة:

اللغة أداة تواصل بين البشر كما وصفها ابن جي اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم[١]، (حسن، ١٩٨٣، ٣٣/١) فهي تعتبر على الصوت بأربعة الأولى، لذا توجه جهود العلماء صوب المنطوق منها دون اعتبار للمكتوب؛ لأن التحليل العلمي الدقيق والسليم يفرض وصف أصوات اللغة في حالتها الطبيعية، أي في مرحلتها الأولى قبل ان تتحول الى مرحلة ثانية وهي الكتابة، وهي المرحلة التي تفقد فيها اللغة كثيراً من السمات النحوية التي تميزّها كالنغمات وبعض الخصائص الصوتية فلا تظهر[٢]، (السعران، ١٩٩٢، ٢٢٥)لقد أدرك الدارسون الظواهر الصوتية الموجودة بالفعل في اللغة، ومن هذه الظواهر وجود ملامح غير تركيبية، أي ليست من التركيب اللغوي في الجملة، لكنها أحداث تطرأ على التركيب وتصاحبه[٣] (الجوارنه، ٢٠٠٢، ٢)من هذه الظواهر غير تركيبية (التنغيم) يُعدّ من أقوى أنواع التعبير اللغوي واسماها، فهو أسلوب راقي يساهم في عملية التواصل بإظهار معنى الخطاب، وتأثيرها في فهم المتلقي، ولكل متكلم سماته الميزة الصوتية التي يتميز بها عن غيره وتبلغ عن مقاصده.من هذا المنطلق جاءت أهمية دراسة التنغيم وبيان أثره في عمليات فهم دلالة الخطاب فهو خاصية مميزة في ابراز المستويات الدلالية ومقاصد المتكلم والمخاطب؛ لأنه قرينة من قرائن السياق. ولا يخفى على كل واحد منّا إن دلالة الجمل تتضح بالإعراب إلا ان للتنغيم دوره الكبير في ابراز حال المتكلم من حزن او غضب او نفي... ألخ لقد بيّنَ اللغويون إن عملية التواصل الناجمة لا تقف عند إنتاج وحدات لغوية منظمة ومركبة تركيباً جيداً فحسب، بل بما تحققه من التأثيرات المنشودة التي تمارسها اللغة على المتلقين والمشكارين، ولن يحصل هذا إلا من خلال ممارسة تلك الظواهر الصوتية أي التنغيم في الكلام وممارسة ظواهر غير تركيبية أخرى لا يسع الحديث عنها هنا.

أولاً: التنغيم intonation

لغة: النغمة جرس الكلام وحسن الصوت في القراءة وغيرها، والنغم الكلام الخفي والنغمة الكلام الحسن (ابن منظور: ٢٠١٠، ٥٩٠/١٢).
اصطلاحاً: هو ارتفاع الصوت او انخفاضه اثناء الكلام (حسان، ١٩٩٢، ١٦٤) فهو التنويع في أداء الكلام بحسب المقام المقول فيه، فكما لكل مقام مقال فكذلك لكل مقال طريقة في أدائه تناسب المقام الذي اقتضاه لفهم دلالة الخطاب ما، فالتهيئة غير الرثاء، والأمر غير النهي والتساؤل

والاستفهام غير النفي وهكذا (الغريب، ١٩٩٦، ٢٨٦)وهذا ما أكده ايضاً، د. احمد مختار عمر إذ يرى أنّ التنغيم هو الذي يغيّر الجملة من خبر الى استفهام الى توكيد، إلى انفعال، الى تعجب في شكل الكلمات المكوّنة، ثم يمايز بين صفتين من اللغات النغمية، وغير النغمية بما تؤديه درجة الصوت من دور في تميز المعنى الأساسي للكلمة او الجملة (عمر، ١٩٩٧، ٣١٠)والتنغيم في الكلام المنطوق كالترقيم في الكلام المكتوب، غير إن التنغيم أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي للجملة، وهذا الوضوح مرجعه الى التأثر الذي يصاحب الحديث لينبه ويشير (وهذا ما يتطلبه لفهم دلالة الخطاب)، ويتطلب حالة من الانتباه والمتابعة لما يجري، فهو يقوم بوظيفته دلالية بما يصاحبه من قرائن، إشاحة الوجه، وتجهمه وانفراج اساريره (حسان، ١٩٩٠، ١٦٩)، وكل هذا يؤدي وظيفته في الدلالة الخطابية كما سوف نوضح لاحقاًوقد سماه إبراهيم أنيس بموسيقى الكلام، إذ قال (أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتّبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات؛ فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف في درجة الصوت، وكذلك الكلمات قد تختلف فيها، ويمكن ان نسمّي نظام توالي درجات الصوت بالنغمة الموسيقية (أنيس، ١٩٩٩، ١٧٦).حفلت كتب التراب اللغوي بجملة نم الإشارات لظاهرة التنغيم، وخاصة عند النحاة وعلماء التجويد الذين اعتنوا بتحقيق النطق الصحيح، ذكر سيبويه في باب الندبة عن نغمة الندبة التي تبرز فيها معاني التفجع وبها يتميز المنادى المندوب من غيره يقول: (أعلم أن المندوب مدعون، ولكنّه متفجع عليه، فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف كأنهم يترنمون فيها) (سيبويه، ١٩٨٨، ٣٧٥/١).فالتنغيم بيّن دلالة الخطاب هنا، كما أورد ابن جني في الخصائص إشارات دالة على التنغيم في العربية من ذلك حديثه عن حذف الصفة في التركيب اكتفاء بدلالة الأداء النطقي عليها نحو قول القائل: (سيرَ عليه ليلٌ، وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها) (ابن جني، ١٩٨٣، ٣٧٠/٢ – ٣٧١).فمن هنا نستدل على ان العلماء القدامى كانوا على دراية بهذه الظاهرة الصوتية الفنولوجية التي تسهم في فهم دلالة الخطاب. أما اللغوي الإنجليزي فيرث John Rupert Firth فقد أكّد على أهمية الملامح التطريزية وتبعه مايكل هاليدي إذ أكّدا على ان أي وصف للغة أو وصف المعنى في أي لغة يجب ان يمر أو لا عبر وصف مكوناتها الصوتية (الغريب، ١٩٩٦، ٢٨٤).وتظهر لدى بعض الباحثين الغربيين رغبة في عدم تأطير التنغيم بقانون صارم يحدد آلية النطق وطريقته؛ لدواع منطقية يأتي بمقدمتها ان لكل لغة عادات نطقية تنغيميه خاصة تختلف عن غيرها من اللغات، فضلاً عن وجود تنوع كبير بين الافراد في تلك الدرجات الصوتية، لذا يرى ماريوباي أن (من الأسلم ألّا يحاول المرء وضع قانون صارم يحدد النطق) (ماريوباي، ١٩٩٨، ١٥٤)وجوهر التنغيم ان يعطي المتكلم العبارة نغمات معينة تنجم نفسياً عن عاطفة يمسها وفكريّاً عن معنى يعتلج في ذهنها، وعضوياً عن تغير في عدد الهزات التي تسري في وتري الحنجرة فيزيد الاهتزاز، او ينقص وفق العرض الذي يتوجه اليه الكلام (طميات، ٢٠٠٠م، ١٥٤)وليس التنغيم هو النبر كما قد يظن بعضهم فالنبر وضوح نسبي في نطق مقطع من المقاطع، وهو بهذا الوصف عامل مهم من عوامل التنغيم بالإضافة الى عوامل أخرى، ذاتية او غير ذاتية كطبيعة الصوت، وهيئات التركيب ومواقفها وملابساتها الخارجية المتعلقة بالمتكلم واغراضه (بشر، ٢٠٠٠م، ٥٣٣).

ولا بدّ من الإشارة هنا الى وظائف التنغيم المتعددة في عملية الاتصال بين المتكلمين يأتي في مقدمتها:

الأولى: وظيفة نحوية؛ إذ يقوم التنغيم ببيان اكتمال الجمل او عدمه، كما يقوم بوظيفة أخرى هي تصنيف الجمل الى أنماطها المختلفة من تقريرية واستفهامية وتعجبية، لأن من المعلوم ان لكل جملة نمط خاص من التنغيم في نهايتها (بشر، ٢٠٠٠م، ٥٤٣ – ٥٤٤).

الثانية: وظيفة دلالية سيامية، حيث ينبئ اختلاف النغمات وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية عن وجهات النظر الشخصية من رضا وقبول وزجر وتهكم... ألخ، حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السياق العام المتعلق بالظروف والمناسبات التي يلقى فيها الكلام (بشر، ٢٠٠٠م، ٥٣٩ – ٥٤٠). وبهذا يكون للتنغيم التأثير الكبير في إبراز دلالة الخطاب المنطوق فهو يتحكم على نحو واضح في تحديد المعنى المقصود وتوجيهه، اعتماداً على كيفية نطق الجملة وتنغيمها إذ إن (تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات) (أنيس، ١٩٧٦، ٤٧).

الثالثة: وظيفة انفعالية: يلعب التنغيم دوراً في فهم دلالة الخطاب من خلال وظيفته الانفعالية Emotional Lunation وربطها بالوظيفة النحوية، إذ يقول سعد مصلوح (وقديماً صنّف اسلافنا الاستفهام الى إنكاري وتوبيخي وتقريري وغير ذلك من أنواع الاستفهام، والذي لا شك فيه ان التنغيم يقوم بدور هام في التمييز بين هذه الأنواع جميعاً، إذ إنّ الأنماط والتنوعات النغمية تختلف باختلافها على نحو دال) (مصلوح، ٢٠٠٠م، ٢٦٠) فالتنغيم وظّف دلالة الخطاب كما وضحنا من خلال وظيفته الانفعالية، فأنت حين تقول لولدك وأنت في حالة غضب: إنهض، فنبرات صوتك وملامحك الانفعالية كفيلة بتوجيه ولدك بالنهوض فوراً.

ثانياً: مفهوم الخطاب (discourse)

لغة الخطب: الشأن أو الأمر صَغَر أو عَظُم، وقيل هو سبب الأمر يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خَطَبٌ جليلٌ وخطبٌ يسير والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، فيقال خطب، خطوب، خاطبة، بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن (ابن منظور، ٢٠١٠، ٩٨/٥).فالخطاب يقتضي صوراً أو مشاركة، ولا خطاب الا باعتبار تضمين معنى المكالمة وهو الكلام الذي يقصد به الإفهام او اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ الفهم (الكفوي، ١٩٩٣، ١٩٣).

الدلالة اللغوية تفيد التوجيه الكلام للمتلقي لغرض ما.

اصطلاحاً:

الخطاب: كلام موجه الى متلق بقصد الاقناع والتأثير او المشاركة الكلامية بين طرفي الاتصال حواراً أو مشافهة او كتابة للتأثير والاقتناع وتحقيق مقاصد اتصالية.أو هو: تلك الصياغة لفكرة مقصودة، في تتابع لغوي وفق ما تقتضيه القواعد اللغوية للغة معينة، ليتم بعد ذلك ارسال الخطاب في الهواء الى المتلقي وعرفه محمد مفتاح (مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة) (السر، ٢٠١٠، ٧٥).

الخطاب مرادف للكلام، أي الإنجاز الفعلي للغة، بمعنى: اللغة في طور العمل او اللسان التي تنجزه ذات معينة كما أنه يتكون من متتالية تشكل مراسلة لها بداية ونهاية (يقطين، ١٩٩٧، ٢٧) فعلى هذا الخطاب ينتجه الفرد بغية إيصال فكرة معينة للمتلقي وهناك فرق بين الخطاب والنص text فالخطاب مرتبط بالتلفظ والسياق التواصلي في حين يتميز النص بكونه مجرداً عن هذا السياق بشكل كلي (حمداوي، ٢٠١٥، ٨).

اركان الخطاب (مليزي، ٢٠١٥، ٣٥٧ – ٣٥٨) – المخاطب – الخطاب – السياق.

١-المتكلم the speaker: يمثل طرف الخطاب الأول، ويحظى المتكلم إمكانه هامة في العملية التخاطبية، كونه الذات المحورية في انتاج الخطاب، بقصد افهامه مقاصده او التأثير فيه، وفق ما يقتضيه المقام (السياق) كما أن مقاصد المتكلم وأهدافه تتنوع بتنوع بعض العناصر السياقية، مما يفرض عليه أطراً معينة لا بُدّ أن يستجيب لها فإن كان هدفه الإقناع أو التأثير أو... ألخ. فإنه يختار من الأدوات اللغوية والآليات الخطابة ما يبلّغه مراده، ويعمد الى (التنغيم الذي يعكس اثره) في شكل الخطاب وآلياته ويصبح عنصراً فعالاً في تحقيق مقاصد فهم دلالة الخطاب، يقول د. عبدالرحمن الحاج: للخطاب مدلول آخر اختص به دون الكلام – ولا يقوم مقامه حينئذ إلا لغرض – وهو معنى) المحاجة والجدل ومحاولة إقناع المقابل فالخطاب في هذا الجانب محاولة صاحبه التأثير في فهم الخطاب (صالح، ٢٠١٢م، ١٦).

٢-المخاطب (the addressee): الطرف الثاني المستمع وينتدب في المتلقي السامع التهيؤ والاستعداد لقبول التواصل وحضور الذهن والاقبال على المتكلم، والإنصات وتقبل الخطاب والتجاوب معه، وتحفيزه بتعبير الوجه والحركة والإشارة.

٣-الخطاب (the speech): مثل الكلام المراد ايصاله الى المتلقي.

٤-السياق (context): وهو الظروف المحيطة بالحدث الكلامي، وكل ما يصاحب الكلمة من ألفاظ تساعد على فهم وتوضيح المعنى (الخطاب المقصود)ولكي يتم فهم دلالة الخطاب فهماً دقيقاً لا بد من توفر العناصر جميعاً حين النطق بالكلمة تنغيماً، وعليه لا يُعد فهم الخطاب منتهاً بمجرد صدوره من قائله، بل انه يتحدد بمعرفة السياق الذي جاء فيه ليحظى بقبول المتلقي وفهمه له، وتفاعله معه، فكل من المتكلم والمخاطب في عملية فهم الخطاب، وكل منهما يؤدي دوره في انتاج الخطاب (علي، ٢٠٠٤م، ٤٨)، فبالنسبة للمخاطب الصياغة والسياق والإنتاج وبالنسبة للمتلقي التحليل والتأويل والفهم إنّ الالتقاء بين الخاطب والمتلقي هو الذي يكسب النص روحاً وحياة تعجّ بالحركة والامتداد بما يحمله من كلمات تعبيرية وصور فنية، وقيم موسيقية، وتركيبات بلاغية، أما عالم المتلقي فله حياة وخبرات جمالية وثقافية؛ تتصف هي الأخرى بالحركة والتقابل والامتداد، ومن خلال عملية الإدراك تتصالح الحياتان، وتلتقي الطاقتان: الطاقة الكامنة في النص والطاقة المنبثقة عن القارئ، فتحقق الطاقتان اهداف جمالية تتوافق مع الفطرة الإنسانية، وتتلاءم مع العقل والجدان (بودالية، ٢٠١٧م، ٢٨٧) لذا يقع على التنغيم تحقيق كل هذا لكونه عنصراً فعالاً لإبراز تلك الطاقات الكامنة.

ثالثاً: دور المتكلم التنغيمي في ابراز دلالة الخطاب

يتخذ المتكلم التنغيم وسيلة للتأثير على الآخرين، كما أنّ توظيف التنغيم في العملية التواصلية له أهمية في تحديد الدلالات المرجوة من كل تركيب، ومراعاة التنغيم في صور الأداء وأنماط الكلام تتنوع من شخص إلى آخر، ومن جماعة لغوية إلى أخرى، وحتى المتكلم الواحد لا يسير على نمط واحد في نطق مقاطع كلامه؛ أيّ: أنّ هناك ارتفاع وانخفاض في درجة النطق بالأصوات، ويساعدنا التنغيم من التعبير عن كل مشاعرنا وحالاتنا الذهنية، وأن نغيّر الجملة من خبر الى استفهام الى توكيد الى انفعال الى تعجب، وذلك دون تغيير في شكل الكلمات المكوّنة للجملة مع تغيير التنغيم فقط (بودالية، ٢٠١٧، ٢٣٣).فعلى سبيل المثال حين نقول: ناجح زيدٌ، فأنت فيها مقراً أو مستفهماً، أو تكون متعجباً،

بُين ذلك طريقة للتنغيم فيها الذي سيبرز لنا الدلالة المطلوبة من الخطاب.إن تحديد وظيفة التنغيم تنطلق من نوع التنغيم، الذي ينطق به المتكلم، فالمتكلم يعبر عن معنى ما، لذا فهو يختار النمط التنغيمي الذي يعطيه هذا المعنى، الذي له مثيل في ذهن السامع كنمط تنغيمي لديها فيتم التواصل بينها في إطاره، فعلى الرغم ان العلماء ذكروا وظائف كثيرة للتنغيم في ابراز دلالة الخطاب، لكن يظل التحديد الدقيق لوظيفة التنغيم سراً كامناً في نفس المتكلم، يدركه السامع، أو لا يدركه، فعلى قدر ادراك السامع لمضمون الرسال (صحيحاً كان او خطأ) يكون سلوكه كرد فعل على ما فهمه من تلك الرسالة؛ هذا الإدراك لتلك الرسالة هو أساس التفاعل بين المتكلم والمخاطب (احمد، ٢٠٢٠، ٢٩٣)إن فهم دلالة الخطاب يكون بمساعدة الظواهر الصوتية المتمثلة بالتنغيم الذي يلعب دور بارز في تحديد معاني الجمل التي توضح دلالة فهم الخطاب، وذلك بوصفها في اطار الصوتي الملائم لها، وكما قلنا سابقاً فقد يكون لقرينة التنغيم أثر أقوى من القرينة اللفظية وهناك أمثلة كقولنا (أنت طالب)، إذ إنّ النظرة الأولى لهذه الجملة تُوهم أنها لا تكون إلا جملة خبرية، ولكنها قد تكون جملة استفهامية، إلى غير ذلك من الجمل التي نستعملها في حديثنا اليومي، وهي على هذا المنوال (عوض وآخرون، ٢٠٠٦، ١٠٦).ومثل هذا كثير في لغتنا فمثلاً قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ التحريم: ١والمقصود أتبتغي مرضاة أزواجك، فلولا التنغيم لما تبين لنا إن الجملة استفهامية (الغريب، ١٩٩٦، ٣٠٢).إن الفرق الرئيسي يوجد في المعنى بين الاستفهام والإخبار، الذي يعلمه المتكلم علم اليقين ويجهله السامع أو المخاطب، ويوجد كذلك في النغمة الصوتية التي هي في الإخبار نغمة صوتية مستوية بينما هي ذات نغمة صوتية صاعدة في معنى الاستفهام (حسان، ١٩٩٠، ١٦٤). فالتنغيم أزال اللبس عن معنى الجملة، وبيّن الخطاب المقصود هنا. للتنغيم دلالة وظيفية على فهم الخطاب تتضحك من صلاحية الجمل التأثيرية المختصرة نحو: لا، نعم، يا سلام، الله، الخ الخ، لأن تقال بنغمات متعددة، ويتغير معناها النحوي والدلالي مع كل نغمة فهي العنصر الوحيد الذي تسبب عنه تباين هذه المعاني لأن الجملة لم تتعرض لتغيير في بنيتها ولم يضف إليها او يستخرج منها شيء، ولم يتغير فيها إلا التنغيم وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح وأعضاء الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية (حسان، ١٩٩٤، ٢٢٧) ولكل جملة تتفق مع هيكل تنغيمي خاص يقف منه في إطار النظام النحوي موقف الصيغة الصرفية من المثال أي كموقف (استفعل) مثلاً من (استخرج) من حيث يقوم الصيغة مقام القالب بالنسبة للمثال ولكن اللغة لها جانبان الجانب التعاملي والجانب الافصاحي، وأولهما أقرب الى الاستعمال الموضوعي للغة وثانيهما أقرب الى الجانب الذاتي وهذا الجانب الإفصاحي يغلب عليه الطبع التأثري، ومن أمثلته: التعجب والمدح والذم... وكل هذه تتحقق في صورة صيحات انفعالية تأثرية، وقد يكون للمتكلم بهذه اللغة الإفصاحية في مقام يتطلب منه ان يغير وظيفة الجملة من التعامل الى الإفصاح كالذي يحدث مع المعلقين على مباريات كرة القدم، قبل ان يصيح باللفظ الإفصاحي (هيه) عندما يرى الكرة دخلت فعلاً على منطقة الهدف لم يكمل الجملة (حسان، ١٩٩٤، ٣٠٩)إن الإمكانات للتنويع في النغمات واسعة الى حد كبير، وفقاً لنوع الكلام وظروفه، وهذا التلوين الموسيقي يعطي الكلام روحاً، ويكسبه معنى، إنه يدل على الحالة النفسية للمتكلم كما يعد عاملاً من عوامل توضيح المعاني وتفسيرها، وتمييز أنماط الكلام بعضها من بعض (بشر، ٢٠٠٠م، ٥٣٤)ومن المواطن التي يصير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السياق أن يعمد المتكلم الى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم كأن يقص المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصحابه، ولكنه يريد ان يبدو هادئاً في سرد القصة لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد، فيصطنع لهذا الكلام الذي يحتمل نغمة الحسرة والجزع نغمة أخرى فيها هدوء وتماسك فهنا تعطي الجملة وظيفة جديدة ونغمة غير نغمتها التي في النظام ويكون التنغيم ظاهرة سياقية (حسان، ١٩٩٤، ٣٠٩)، صوتية ساهم في عملية الفهم والإفهام وتنميط أجناسها النحوية والدالة المختلفة (بشر، ٢٠٠٠م، ٥٥٢)المقام هنا حدد الكلام، إذ إنّ السياق سواء أكان لغوياً أو غير ذلك، هو الذي يفرض الاتجاه الصوتي لنغمات السلسلة الكلامية هبوطاً أو صعوداً أو استواءً.ويتغير دلالة الأساليب المتشابهة في بيئتها بتغيّر التنغيم (حيث تكون النغمة هي العنصر الوحيد الذي تسبّب عنه تباين هذه المعاني؛ لأن هذه الجمل لم تتعرّض لتغيّر في بيئتها، ولم يضف اليها او يستخرج منها شيء، ولم يتغيّر فيها إلا التنغيم، وما قد يصاحبه من تعبيرات الملامح الجسم مما يعتبر من القرائن الحالية (حسان، ١٩٩٤، ٢٢٨)وبالرغم من أن هذه الوظائف مختلفة؛ فإنه لا يمكن الفصل بينها، فهي متلازمة ومتكاملة وذلك لما للتنغيم من أثر في تحديد معنى الكلام، فهم الخطاب المقصود، وإنه لا يقتصر على التراكيب المسموعة دون المقروءة، وأن له أثراً كبيراً في نفوس السامعين ويدفعهم الى متابعة المتكلمين، وحسن الإصغاء إليهم، وإزالة اللبس عن معنى الجملة، وإدراك الفرق بين المعاني المتعددة وفهم المراد. ولا يأتي إلا بإتباع سنن أهل اللغة في النطق والتعوّد على مجاراة الفصحاء، فالمتكلم قد يهدف بحديثه وتتابع كلامه العتاب، أو الحث، أو لفت النظر... إلى غير ذلك من المعاني التي لا يمكن إدراكها إلا بمعرفة التنغيم (بودالیه، ٢٠١٧، ٢٥٧ – ٢٥٨).ويشير سعد مصلوح الى التراكيب الخالية من أدوات الاستفهام وإمكانية

اعتبارها تقريراً أو استفهاماً ما يعود الى التنغيم وبذلك لا تصبح له (أي التنغيم) وظيفة نحوية، ثم يضيف فيقول: وكثيراً ما يقوم التنغيم في هذه اللغات لا بتمييز التقرير من الاستفهام فحسب، بل بتحديد المراد من السؤال فأنت إذا قلت لصديقك: تزوّج زيد بفتاة جميلة، فردّ عليك متسائلاً: من؟ اختلف مراد سؤاله باختلاف النغمة التي ينطق بها السؤال، فإذا نطقه بنغمة صاعدة كان مراده السؤال عن الفاعل، وإن كان نطقه بنغمة هابطة كان مراده فريداً من المعلومات عن العروس (مصلوح، ٢٠٠٠م، ٢٥٩)ويقوم التنغيم بدور دلالي كبير يساعد في تفسير الجملة، وبيان دلالة الخطاب فيها، ويعدّ قرينة صوتية كاشفة في اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع التفسير النحوي الدلالي، وهو المسؤول في كثير من الأحيان عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها (الجوارنة، ٢٠٠٢، ٨) وقد تنبّه سيبويه الى دور التنغيم في المعنى، ولكنه لم يذكره بالمصطلح، فقد أشار إلى ثمة جملاً خبرية يراد بها الجملة الإنشائية من ذلك ما ذهب اليه في باب (الامر والنهي)، بقوله: زيداً قطع الله يده، وزيداً أمر الله عليه العيش، لأن معناه معنى زيداً ليقطع الله يده (سيبويه، ١٩٨٨، ١٤٢/١)إن المتكلم بنغمته الخاصة يكشف لنا كل ما هو محذوف من الجملة، وهذا الحذف لا يكون إلا بدليل، قال ابن السراج (واعلم ان جميع ما يحذف؛ فإنهم لا يحذفون شيئاً إلا وفيما أبقوا على دليل على مما ألقوا) (ابن السراج، ١٩٨٥، ٢٦٤/٢) وهذه الظاهرة تودى بنغمة صوتية خاصة في اللغة المنطوقة، فيصبح بذلك التنغيم وسيلة في نقل المعنى الذي تعجز عن نقله اللغة المكتوبة لهذا ذهبت طائفة من العلماء الى جواز حذف الأداة إذا أمن اللبس، ولكن هذا مرهون بالسياق وقرائن الأحوال، فمتى دلّ في النص على دليل على أن الحذف وفهم دلالة الخطاب ومثل ذلك قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ﴾ المنافقون: ٦ استفهام محذوف الأداة؛ يعتمد على التنغيم لادائه والتقدير (أسواء عليهم) (بودااليه، ٢٠١١، ٣٢١) فالتأثير التنغيم كان واضحاً في دلالة الخطاب المقصودفالتنغيم ساعد في الوصول الى دلالة الخطاب؛ لأنه يعتبر وسيلة صوتية تسعى للاستغناء عن الأدوات واللواحق التي تثقل البنى الصرفية لتحديد الدلالة؛ بل إنّه عنصر من العناصر الإبلاغية في دراسة النماذج الأدبية الرفيعة في اللغات الحية. ومن هنا تتجلى أهمية التنغيم وإسهامه في انتاج الدلالة بل يطبع الكلام بطابع معين يفهمه السامع مباشرة؛ إذ يقوم التنغيم (بوظيفة تحديد الوحدات المعنوية الكبيرة في الخطاب وذلك بربط المقاطع التركيبية للجملة أو الجمل المتتالية فيما بينها، والتنغيم ميز الجمل ونوعها، ويحدد طريقة التواصل القائم بين المتكلم والمخاطب، وهو بذلك يميّز في الجملة الواحدة، ودون أن تغيير في مكوناتها الفونيمية والمرجعية، وذلك ناتج عن التغيرات الصوتية التي يفرضها السياق ويستدعيها الموقف) (بودااليه، ٢٠١٧، ٣٢٢).

نتائج البحث

بعد هذه الجولة السريعة في مفهوم التنغيم ودوره في دلالة الخطاب، نستخلص ما يأتي:

١- يعدّ التنغيم ركناً اساسياً في الآداء النطقي لأي لغة كانت قصد تحقيق هدف خاص لفهم وإبراز دلالة الخطاب المراد.

٢- التنغيم قرينة من قرائن السياق الكاشفة للخطاب المراد ايضاحه.

٣- يتحكم التنغيم على نحو واضح بتحديد معاني التراكيب وتوجيه اغراضها الخطابية.

٤- التنغيم عامل من العوامل الصوتية به يعرف تمام المعنى من عدمه، فضلاً على ذلك له وظيفة نحوية قد يحول التقرير الى استفهام او العكس، وكل هذا له اثره في دلالة الخطاب المرجو.

٥- لا يمكن فهم الكلام من دون مراعاة عنصر التنغيم، لكونه ظاهرة تطريزية فاعلة في دلالة الخطاب.

٦- لا يمكن بيان دلالة الخطاب ما لم نركز على العناصر التي تشكل العملية التواصلية كمعرفة المرسل والمتلقي وبالتأكيد يسهل على المتكلم معرفة مواضع التنغيم، لأن السياق هو الذي يفرض تلويناً موسيقياً في الخطاب.

٧- لبيان دلالة الخطاب بصورة صحيحة مرهون بوجود وسائل غير اللغوية، فأي عملية ناجحة لفهم الخطاب تنوع مواضيعها لا يمكن أن تكون ذات قيمة ما لم يوظف التنغيم ركناً فيها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، ط٤، ١٩٨٣م.
- ابن السراج، أبو بكر محمد بن سهل، الأصول في النحو، تحقيق: حسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- ابن منظور محمد بن مكرم بن علي، دار صادر، بيروت، ٢٠١٠م.

- احمد عطية سلمان، الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع – النبر – التنغيم) سورة الواقعة نموذجاً، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٢٠م.
- أنيس إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الانجلو المصرية، ط٣، ١٩٩٩م.
أنيس إبراهيم، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦.
- بشر كمال، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط، ٢٠٠٠م.
- حسان تمام، اللغة معناها ومبناها، دار الثقافة، ١٩٩٤م.
- حسان تمام، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م.
- حمداوي جميل، محاضرات في اللسانيات، الأولوكة، ط١، ٢٠١٥م.
- السر نور الدين، الاسلوبية وتحليل الخطاب (دراسة في النقد العربي الحديث)، الجزائر، دار هوية، ٢٠١٠م.
- السعدان محمود، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ١٩٩٢.
- سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- صالح عبدالرحمن الحاج، الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ٢٠١٢م.
- طليمات غازي مختار، في علم اللغة، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط٢، سوريا، ٢٠٠٠م.
- عكاشة محمود، خطاب السلطة الإعلامي، ط١، القاهرة الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م.
- علي محمد محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتب الجديد المتحدة، ط١، ٢٠٠٤م.
- عمر احمد مختار، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٧م.
- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: د. احمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٨م.
- مصلوح سعد، دراسة السمع والكلام (صوتيات اللغة في الإنتاج الى الادراك)، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- يقطين سعيد، تحليل الخطاب الروائي، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٧.

المجلات والدوريات:

١-الغريب احمد أبو زيد علي، التنغيم في اطار النظام النحوي، مجلة ام القرى للبحوث المحكمة، السعودية، العدد ١٤، ١٩٩٦.
٢-الجوارنة يوسف عبدالله، التنغيم ودلالته في العربية، مجلة الموقف الادبي، صادر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد ٣٦٩، ٢٠٠٢م.
٣-بلخيري الحواس، الخطاب المنطوق والخطاب المكتوب من منظور تداولي، جامعة بن خلدون، الجزائر، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد ١٢، العدد٢، ٢٠٢١م.
٤-عوض سامي ونعامة علي، دور التنغيم في تحديد معنى الجملة، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، مجلد ٢٨، العدد١، ٢٠٠٦م.
الرسائل والأطاريح:
- بودالية (سيرة، دلالة الظواهر فوق مقطعية في توجيه الخطاب القرآني، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٧).

Sources and references
The Holy Quran
- Ibn Jinni Abu – Fath Othman, characteristics, investigated by Muhammed Ali – Najjar, Egyptian General Book Authority, T4, 1983.
- Ibn Al – Sarraj, Abu Bakr Muhammed bin Sahl, Verfied by Hussein Al – fatli, Al – resala foundation, Beirut, T1, 1985.
- Ibn Manzur, Muhammed bin Makkram bin Ali, Dar Sader, Beirut 2010.
- Ahmed Attia Salman, supr asyntactic phonemesin the Holy Quran, the syllable, stress and intoation of Surah Al – Waqiah, are an example, Modern Academy for university book 2020.

- Anis Ibrahim, Linguistic sounds, Anglo-Egyptian Library, T3, 1999>
- Anis Ibrahim, Meaning of words, Anglo-Egyptian Library, 1976.
- Bishr Kamal, Phonetics, Dar Gharib for printing, publishing and distribution 2000.
- Hassan is Fine, Language its meaning and structure, House of Culture, 1994.
- Hassan is Fine, Research methods in Language, Anglo Egyptian Library, Cairo, 1990.
- Al 0 Kafwi, Abu Al-Baqa Ayoub bin Musa, College, Beirut, Al- Resala Foundation, 1993.
- Mario Pie, Foundations of linguistics, Translated By Ahmed Mukhtar Omar, Cairo, The World of Books, 1998.
- Masloh Saad, Study of hearing and Speech, language phonetics From production to perception, the world of books, Cairo, 2000.
- Happy Pumpkin, Analysis of narrative discourse, white House Arab cultural center.

Magazines And periodicals

- Belkhiri Al-Hawas Ahmed Abu Zaid Ali, intonation within the Framework of the grammatical system, umm Al- Qura university, journal for peer-reviewed research, Saudi Arabia, the number 14, 1996.
- Al-Jawarna Yusuf Abdullah, intonation and its meaning in Arabic, Al-Mawqif Al-Literary Magazine, Issued by the Arab writers union in Damascus, the number 369, 2002.
- Belkhiri Al-Hawas, Spoken Speech and written speech from trading perspective, ibn Khaldoun university, Algeria, journal of linguistics practices, vol 12, the number 2, 2021.
- Hamdawi is beautiful, Lectuesin linguistics, Al oke, T1, 2015.
- Dam Naradine, stylistics and discourse analysis, A study in modern Arab criticism, Algeria, Dar Houme, 2010.
- The tow prices Mahmoud, linguistics: An introduction to the arab reader, Dar Al Nahda Al Arabiya for printing and publishing, 1992.
- Sibawayh, Omar bin Othman bin Qanbar, The book, verified by Abdul Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, T3, 1988.
- Saleh, Abdul-Rahma Al-Hajj, speech and communication, in the theory of Arabic Situation and usage, National Endowment for printing arts, Algeria, 2012.
- Tulaimat Ghazi Mukhtar, In linguistics, Dar Talas for studies, translation and publishing, T2, Syria, 2000.
- Okasha Mahmoud, Media discourse of authority, T1, Cairo, Arab Academy for university Books, 2005.
- Ali Muhammed Muhammed Younis, introduction to the sciences of semantics and communication, united new book House, T1, 2004.
- Omar Ahmed, Muhtar, Study of linguistics sound, world of books, Cairo,1997.
- Awad Sami And Naama Ali, The rok of intonation in determining the meaning of a sentence, Tishreen University Journal for scientific studies and research, vol 28, the number 2006.

Letters and theses

-Bodalia Rashida, the signific of super segmental phenomenal in directing Quranic discourse, Dodoral thesis, Facuty of Art and languages, university of Oran, Algeria, 2017